القصة القصيرة جدا بين النشأة والاسلوب

-نشأة القصة القصيرة جدا

يتلون السرد وهو يرافق الادب عبر العصور ليظهر بوجوه عدة ،وهو يختلف بيد الكاتب على اختلاف الازمان والكتاب والثقافات والتقنيات .....الخ ،ثم تختلف ادوات الكتابة ونسقها لتفعيل النص الموجه الى المتلقي ,وتختلف الطريقة باختلاف الاساليب التعبيرية بين سطورها، من حوارات و اوصاف ووحدة الحدث و الموضوع و ما الى ذلك في عناصر سردية أخرى.

وفقا لما تقدم فان ظهور أجناس ادبية جديدة مع كل عصر تخدم بشكل نوعي الحركة الادبية المعاصرة والوعي المرتبط بالتطورات الراهنة التي تحاكي بدورها كل متهو مستحدث ، بما يرضي حاجة القارئ اولاً ثم الكاتب وهذا امر جديد نوعاً ما ،فالخطاب هنا يراعي المستهلك (القارئ السريع)مما لزم ايجاده ،ونحن مع ولادة فن سريع الكتابة سريع القراءة،وهو ما ظهرلنا في السنوات المتأخرة تحديداً وهو نص سريع لا يتعدى عدة اسطر يستهوي قارئه قبل كاتبهِ ،او هو فن اقتضته السرعة لاسيما مع منافذ التواصل الاجتماعي ، وان هذا الفن يتعارض مع ايقاع القصة و الرواية التي تمرسنا على قراءتها ودرجنا على ثقافتها فاثرت في مفهومنا عن اساسيات القصة ،ولكن السؤال الحاضر الان ،كيف يمكن لنا تقبل هذا الفن قرائياً والتمرس على كتابته لاسيما أن "كل أدب جديد هو عدائي"1، اذن صار لزاماً على هذا الادب الجديد ان يثبت وجوده ويتخذ له منهجاً و اسلوب خاصاً ،وفق قوالب صياغة يرتئيها الكاتب لاسيما ان حداثة هذا الادب ليست طارئة او مبتكرة فهي وليدُ ادب الرواية ، ثم تدرجت نحو القصة أو الاقصوصة ثم القصة القصيرة جداً ،و على رغم من ان جذورهذا الفن تمتد من القدم كما اسلفنا لكننا لا ننكر ان هذا الادب يعد ادباً غريباً على الذائقة الشرقية اي اننا اقتبسنا الشكل وضمناه الفكرة ،فاذا رجعنا الى قصة ارنست همنغواي الذي يعد البادئ لهذا الادب في القصة عام 1925 في قصته المؤلفة من ست كلمات ((للبيع حذاء طفل لم يلبسه قط)) نجد ان هذا الفن على مستوى "المقصدية والبنية غربي النشأة و الاصطلاح "2، ولكن للدكتور مسلك ميمون في كتابه (ما قبل السرد) رأي اخر يثبت عروبية ذلك الفن فيقول "ان القصة القصيرة جداً فن اصيل مادام له جذور في تراثنا وثقافتنا و ادبنا الشفهي والمكتوب و الامر ليس من باب المزايدات الابستمولوجية بل هي حقيقة دامغة وصلت الى حد مستوى الاجتهاد التعريفي يعرفها محمد مينو بما يأتي ((القصة القصيرة جدا حدث خاطف لبوسه لغة شعرية مرهفة وعنصره الدهشة و المصادفة و المفاجأة والمفارقة وهي قص مختزل وامض يحول عناصر القصة من شخصيات واحداث وزمان ومكان الى مجرد اطياف ،ويستمد مشروعيته من اشكال القص القديم كالنادرة و الطرفة و النكتة"3. و الباحث يميل الى راي (مسلك) ،فهي مادامت تملك جذورها في الادب اذن هي جديدة في القالب و الاسلوب فقط ، وهذا لا يعني اننا ننكر غربيتها لكنهم يملكون فضل الاكتشاف فقط وليس الاختراع ، وقد يدخل في هذا السياق الترجمة الخاطئة التي بنيت عليها كل ما وصل الينا من نصوص نقدية او أدبية ، وأقصد بذلك ترجمة مصطلح القصة القصيرة جداً و خلطها بباقي الاجناس من فكرة او خاطرة ....الخ ، اما من اوصل هذا اللون الادبي الى العرب فهي النصوص المترجمة حتما ،واقرب طريق لها هو المغرب العربي الذي بدوره يعد اقرب ثقافة و جغرافية الى الغرب ،مما ادى الى ظهور خلاف على المصطلح ومكانه وترجمته المحدودة ،ففي امريكا اللاتينية سميت ب(قصص ما بعد الحداثة) وفي اليابان : (قصص بحجم راحة اليد)، وفي الصين (قصص اوقات التدخين) ،وفي الولايات المتحدة(قصص الومضات)

و هناك مسميات متباينة اللفظ تحمل ذات المدلول : (قصة لاربع دقائق) و (القصة السريعة)و (القصة الصغيرة جداً)و (المجهرية)و (وقصص برقية)و (القصة القصيرة جداً)"1
و أيا كانت التسميات فالمضمون واحد ،وما يهمنا هنا هو تطور هذا الفن واشتغالاته واثبات وجوده في القص العربي ،ولعل الاقرب ادبياً واسلوبيا لهذا الفن هو المغربالعربي بما معروف عن شغفهم بكل ما هو جديد فضلا عن ميلهم للدمج بين الادب الاوربي والعربي ،لاسميا تعلقهم بكل ما هو روائي يغنيالذائقة الادبية عندهم ، فضلا عن ثقافتهم المدمجة بين العربية و الغربية ،كما انهم يمتلكون حس التجريب الفني بعد ان تخصصوا في كتابة هذا الفن (الروائي)فكان من الطبيعي ان يستحوذ هذا الجنس الجديد (القصة القصيرة جداً) على كتاباتهم ،و ان كان على سبيل التجربة ،كاستخدام تقنيات جمالية و فنية احدث اهتزازاً في القوالب الموروثة، كما ان التلاعب بالنسيق السردي ،و اعمال الاستعارة ،و التشخيص و الترميز ، جعلهم يبرعون في هذا الجنس الجديد . يليهم في ذلك سوريا وفلسطين والعراق.
اننا امام فن سهل ممتنع قليل الدراسة والاهتمام يغري بالتجريب غيرانهُ صعب الاتقان والتمرس ، ولابد لكاتبه ان يراعي فيه معيارين مهمين هما (المعيار الكمي – و معيار الكيفية و المقصدية).
فأما المعيار الكمي فهو الذي يحدد قصر حجم القصة :اما معيار الكيفية المقصدية فبهما تقوم المحاور السردية ،من احداث و شخصيات و بيئة زمانيةومكانية والتكثيف و هو عنصر دخيل على عناصر السرد وبهِ يبتعد القصة عن وصف يستهدف تفاصيل تلتقط للمشهد كل صغيرة و كبيرة وهذا ما يميز الفن الجديد .
اذا انه معيار الاول للقص اما المعيار الثاني وهي الكيفية و المقصدية فهي لاشك تصب في اللغة وكيفية استغلالها اسلوبيا لانضاج النصوص اذا ان كل كلمة محسوبة بميزان ذهبي بما تمتلكه من قدرة على الاحتواء القصي و ألحكائي والاداء التعبيري و الفني معاً ,و اذا كان النص قد احتوى على كل ما سبق فلا بد من حضور اللغة الشعرية لتصبح جزءاً من النسيج الكتابي وركناً من اركان بناء القصة القصيرة جداً .
-اسلوبية القصة القصيرة جدا بين ما يذكر وما لا يذكر
لا شك ان اي اسلوب ادبى ، هو الحكم الوحيد الذي من اجله يأخذ الجنس الادبي اسمة ، فأسلوب الرواية و القص هو المحدد للخطاب لكي نقول عن نص معين انهُ روائي، و الااسلوب البلاغي الرشيق المراعي للتنعيم الشعري هو الذي يجعل من نص ما شعرياً .او يدخلهَ في نطاق الشعر.....و هكذا، اما التطورات التي تحدث على الاجناس الادبية تحديداً القصة القصيرة التي نحن بصدد دراستها الآن ،فهي على الارجح تلحق بمثيلاتها من العلوم لاسيما العلوم الالكترونية ، فالقص الآن وهو يميل الى الاختصار والاسراع في توصيل النص ، يطوع اساليب كتابية معنية ينصهرداخلها النص القصصي ،كي يظهر بما يدعى اليوم بالقصة القصيرة جداً ،والذي اضحى الفيسبوك و توتر مسرحاً لوجودها وسوقاً لترويجها ومحفلاً ادبياً لعرضها وتقديمها للقراء، التي جاءت في الحقيقة مسايرة للواقع ،اذ "لم يعد للتطور الذي اصاب طرائق القص التقليدية و هيأ الواقع لتقبل تلك العلاقات الجديدة التي طرحتها الاساليب المغايرة الا تعبيراً عن مجموعة الانتقادات التي مر بها الوعي الفردي و الجماعي بوساطة اشكال من الصراعات التي فرضت مجموعة من الاستجابات اللغوية وطرائق مختلفة من الكتابة وقد ارتبطت بواقع تلك المتغيرات "1 ولذا وجد هذا النوع تقبلاً واسعاً عند طبقة القراء من الكتاب والناقدين ، غير انه لا

يخلو من صعوبة اسلوبية افهامية سببتها صعوبة الاحاطة بهذا الفن وشموله تحت قانون معين ،فضلاً عن ان هذا الفن لم يجد نصيبه من الاعتراف والدراسة في مؤسسات النقد الجامعية و المحافل الادبية لذلك اقترح جميل حمداوي (قانون التشفير) ويعني ان هذا الجنس الادبي قد تحول الى شفرة مقننة ومسننة وبالتالي يصير مؤسسة ثابتة وقارة لها قواعد ينبغي احترامها وتمثل ضوابطها ويمنع انتهاكها اوالخروج عنها باي حال من الاحوال "2

والواقع ان هذا الفن الجديد تأرجح برمزيته بين الاسلوب التقريري المباشر في طرح موضوعات وبين التلغيز و التشفير وقراءة البياض من واستلهام التداعي الذي بدورهِ اصبح موضوع القارئ وهمه وليس الكاتب فقط ،اي يمكننا ان نطلق على فن القصة القصيرة جداً ،(فن التداعيات) ، اذ تتحول الجمل القصيرة في النص الى وظائف وحوافز حرة بدون الدخول الى عالم من الاسهاب والتطويل الذي يحيل القارئ بدورهِ الى الملل والرتابة التي تعيق نمو الاحداث وتحدد صيرورتها الحكائية ، واذا كان هناك من جمل مركبة او متداخلة فأنها تتخذ طابعاً محدوداً في الاصوات والكلمات كما انها تمنح النص صفة التوتر و التلاحق والايحاء الناتج عن تكرار جمل الفعلية، وخلخلة النسق ،و صدمة التوقعات ،وان القارئ للقصة القصيرة جداً "يواجه عنفوان ويعايش توالي المعاني الجديدة او تشبيب الالفاظ القديمة ضمن تأليف مغاير و توظيف مبتكر "3وهذا يعني أننا نبحث في نص جديد تخلى عن معظم مقدمات القص وتجرد من اغلب اجراءاته مما يدفعنا الى عدة تساؤلات اولها :(الى اي مدى يمكن للكاتب التخلي عن عناصر السرد ،وهل ما تبقى لديه من عناصر كافٍ لا بلاغ رسالته القصصية) ،و ثانيهما :(الى اي مدى يمكن للنص ان يكون ناجحاً قرائياً).

يمكن لنص القصة القصيرة جداً ان يتكامل قصصياً و اسلوبياً وان تخلى كاتبهُ عن ما يجده مكبلاً للنص، كالوصف التفصيلي على سبيل المثال ، ليس لأجل نص قصير اقتصر على سطرين او اكثر لكن لتكثيف الفكرة وتخليصها مما يشتتها ويصرف ذِهن القارئ عنها ،كما يمكنهُ التخلي عن الزمن ،ذلك ان محتوى القفج وما يريد ان يقدمهُ من وعي او اضاءة جديدة اكبر بكثير من الغوص في الساعة الفلانية او السنة المعنية ,لاسيما وان القفج يتمتع بميزة الامتداد ، اي انهُ نص صالح لكل زمن ،لاسيما ان اسلوب القصة فيه يذهب مذهب الحكمة الدائمة , او المثل السائر، و تبقى قصدية النص هي الحكم ، وللتخفيف من ضجة يعمد الكاتب الى تقليص شخوصه اذ لا يتعدى عددهم الاثنين او ثلاثة , للوصول الى خصيصة الموضوعية الكاملة و العدل بين شخوصه ,يعمد الى الباسهم دور البطولة كلهم ، وهذا ابرز ما يعني فن القص في القفج

اذن فان نظام خلخة نظام السرد هو منهج القص في هذا الفن ، وان اسلوب االخلخلة هذا و الاختصار و الاقتصار و الاستغناء عن بعض عناصر السرد التي كانت حاضرة في الرواية والقصة القصيرة لا نجدها في اسلوبية القفج فضلاً عن موضوعاتها الجديدة نسبياً على مرآى ومسمع قرائها و متابعيها ،والنص بهذا المنحى ينشيء لنفسه جدرا حصينة بما يعتمد من بساطة الاسلوب ووضوخه.

مما تقدم يمكننا القول ان هذا "الشكل الفني الذي يتمرد ببطء على سياقهِ القديمة ،ينشيء له قوى صيانية جديدة ،بعض هذا القوى يأتي من متغيرات العالم الانسان و الفلسفة و العلوم "1

ان هذا الفن وإن لم يحض بما حضيت به الرواية من دراسة و تحليل و نقد، ولم يستقر الى الان بعناصر سردهِ المتغايرة واجراءاتهِ المتبدلة ، غير انهُ اضافة لفن القص و عناصرهِ ولم يأخذ

منهُ او يحط من شأنهِ ، ومن اضافاته الرئيسة هي :" القصصية ، الجرأة ، وحدة الفكر الموضوع – التكثيف ".

أ. رقية اياد احمد